ترجمة

إضاءات حول

الدراما والقصة

لماذا الدراما ؟

– الدراما تيسر توصيل المنهاج

إن «الدراما في التربية» ،كأسلوب تربوي، هي طريقة عمل، فالكثير من وظائفها يتم تعريفها ضمن مهارات الاستماع والتكلم في المنهاج. و يمكن توظيفها من قبل المعلم من أجل توصيل المنهاج للطلبة. فالدراما تقدم مثالا للتنويعات التعلمية التي يمكن للدراما أن تحدثها في اللغة، والتاريخ، والرياضيات، والعلوم، والبيئة... .

– الدراما توفر إطارا حواريا من أجل التعلم

على المعلم كفنان أن يخصص وقتا كافيا لتخطيط دروسه من أجل « محاورة المعنى» في الصف، فالدراما تساعد الأطفال على إنتاج معنى للعالم الذي يعيشون فيه، إن دورنا كمعلمين يقوم من أجل تعزيز العناصر التي تؤسس لزوايا النظر المختلفة في الثقافة التربوية ، فهنا يتم اجتذاب التلاميذ إلى الحوار حول خبرتهم في المدرسة. فالدراما تقدم خبرة فريدة في هذه الإطار، عبر استعمال وضعيات متخيلة وأدوار متنوعة، وبخاصة استعمال المعلم لـ «لعب الأدوار» الذي يمكن له أن ينتج حوارا مميزا ما بين التلميذ والمعلم.

إن فهمنا للعب الدور الاجتماعي المبكر يمنحنا مفتاحا قويا يتمثل في: لماذا نستعمل الدراما في حجرة الصف وكيف نستعملها ؟ على المعلم أن يوظف ما يجيء به الأطفال إلى المدرسة من مهارات في مجال التخيل ولعب الأدوار الاجتماعية من أجل تحقيق التعلم.

– الدراما تبنى بمهارات الأطفال التي يجلبونها معهم إلى المدرسة في لعب الدور.

الدراما التربوية لها جذورها في لعب الأطفال، بالتحديد ما يسمى «بالدور الاجتماعي» أو «تصديق اللعب». إن التزاوج ما بين التخيل والادعاء في اللعب هو الذي يحقق أهمية لنمو الطفل وتعلمه. اللعب التخيلي الإدعائي يقود مباشرة إلى داخل الدراما. وكما يقول فيجوتسكي فإن «الطفل لا يرمّز في اللعب، بل يتمنى ويحرر تمنياته عن طريق تمرير التصنيفات الأساسية للواقع بأن تمر عبر خبرته، فاليوم في اللعب يمكن أن يستغرق نصف ساعة، ومئات الأميال يمكن قطعها بخمس خطوات».

– كيفية توظيف مهارات الطفل الدرامية

حينما يأتي الأطفال إلى الروضة أو المدرسة الابتدائية فعلى المعلم أن يختار الطريقة الأكثر ملاءمة لعمله، يجب عليه أولا أن يأخذ بعين الاعتبار مستوى عمر الأطفال ومستوى اهتماماتهم. الأطفال في الروضة يفيدون من عمل المجموعات الصغيرة. فحينما تكون لديهم قدرات في المهارات الاجتماعية الأساسية، يقوم المعلم بالعمل مع الصف كمجموعة كلية، أما في المراحل اللاحقة فيبدأ المعلم بالعمل معهم في مجموعات حينما يكونون قادرين على أداء مهماتهم بأنفسهم، وحينما تكون لديهم القدرة للعرض أمام التلاميذ في الصف.

إن العمل «في دور» يمكّن من العمل «خارج الدور»، إن ذلك مركزي كي يقدم التلاميذ ردود أفعالهم وانعكاسات العمل الذي قاموا به عليهم. فالانعكاسات وردود الأفعال جوهرية

للتعلم في كل الأعمار. « التعلم عملية متعمدة، والأطفال بحاجة إلى إن يكونوا واعين تماما لما يقومون بعمله، التعلم والفهم من أجل بناء دلائل عقلية. حيث يمكن للتعلم أن يصبح أكثر فاعلية وأكثر كفاءة بموازاة المحتوى ذي المغزى». إن الخروج من الدور لمناقشة « الذي يجري» لهو في حد ذاته «استراتيجية انعكاس» يتعلمها الطفل في عملية الدراما.

– الدراما توظف الارتباط القوي في القصة

إذا ما اتفقنا على أن المعلم يرى بأن للقصة دورا مركزيا في المنهاج، وأن التلاميذ يصلون إلى المهارات الضرورية (لعمل) الدراما، فإن هذا الانصهار لكل منهما في الآخر يقدم مصدرا موسعا للتعليم والتعلم. وعلى أية حال، فحينما يحاول المعلمون صهر القصة والدراما معا، فإنهم سيكونون أمام المشكلات خصوصا إذا ما وقعوا في فخ تمثيل السرد كطريقة وحيدة لتوظيف القصة. إن هذا يظهر بسبب سوء الفهم الأساسي لطبيعة العلاقة ما بين (الدراما من أجل التعلم) و(طبيعة الشكل السردي). لتوضيح ذلك نقول: هناك العديد من الطرق التي يمكن أن نبدأ بها القصص في الدراما؛ فندخل إلى القصة بصور مختلفة، وتصمم من أجل زيادة متطلبات المعلم الجديد الذي سيستعمل الدراما. الأسلوب الأول الذي وصفناه يشبه من يضع الكتاب (القصة) جانبا. والأسلوب الثاني، يتمثل في مشاهدة الرسومات في الكتاب. أما الأسلوب الثالث فيتمثل في قيامنا بإنتاج نسختنا الخاصة من القصة.

نادرا ما يسرد المعلمون القصة من بدايتها إلى نهايتها دون توقف. والذي يحدث غالبا، أن المعلم يأخذ في سرد القصة، وقد يتوقف، بشكل متقطع، من أجل:

- الحديث عما يحدث، ويطرح أسئلة حوله، وربما الحديث عن الذي قد يحدث فيما بعد.
- الحديث عن شخصيات القصة وطرح أسئلة حولها.
- رؤية الأطفال للرسومات.
- الاستماع إلى ردود الأطفال.

لعل التوقف عن القص، ومن ثم التكلم عن الكتاب (القصة) هو جزء مما يتم عمله في العادة. إن ما نقترحه في قصصنا، هنا، يتمثل في:

- أن يتوقف المعلم ويتحدث مع الأطفال (كأنه) شخصية من شخصيات القصة، أو بكلمات أخرى، أن يتحدث حول الكتاب من وجهة نظر الشخصيات. إن هذا لا يعني أن تتصنع صوتا خاصا كي يتم تمثيل الشخصية بشكل مختلف. بل إن ذلك يمثل تلك الخطوة الصغيرة لنوع من أنواع توظيف الدراما التي يقوم بها المعلم.
- باستعمال «شق قناة» الوقت في القصة، ولكن هذه المرة دون الكتاب، فالمعلم يخبر الأطفال بأنهم سيقابلون أحدا بحاجة إلى مساعدتهم، بهذه الاستراتيجية يكتشف الأطفال القصة عبر النظر، والاستماع، وطرح الأسئلة.
- بهذه الاستراتيجية يقابل الأطفال أكثر من دور، وعبر الاستماع يكتشفون القصة قبل أن يقوما بتقديم طرق محتملة لحل المعضلة التي اكتشفوها. ما نخطط له هو إحداث تحول تدريجي من القصة إلى الدراما.

– ما الفرق ما بين السرد والدراما؟

ربما بشكل يدعو للاستغراب، فإن أنجع انصهار ما بين الدراما والقصة لا يتحقق حينما يتم تمثيل القصص بل حينما لايتم تمثيلها. لتفسير ذلك سنستعمل «رحلة القطار» كتشبيه؛ لنتخيل أن خط سكة الحديد يمثل السرد؛ فالمؤلف يضع المسلك، وسارد القصة هو القطار الذي يحملنا على طول الطريق، كل المحطات التي نمر بها هي نظير (الأحداث) على طول الرحلة إلى أن نصل إلى مبتغانا. وكما يمكن أن تقرأ بعض القصص فإن بعض الرحلات يمكن أن نقوم بها مرة ثانية وثالثة... بالنسبة للصغار فإن معرفة ما الذي سيحدث تاليا في القصة يمكن أن يكون ممتعا ومطمئنا لهم وقد يمنحهم شعورا بالقوة والسيطرة، إنها قوة المستمع الذي يتقدم على السارد، وشعوره بالسيطرة على ما يجري، ومن ثم التقدم على اللعبة.

في بعض القصص هناك طقوس وتكرار لبعض العبارات أو الكلمات، وقد يشترك الطلاب في السرد. إن هذا مثله مثل السارد فهو يشعرنا بأننا لا نعرف ما الذي سيحدث لاحقا، ولكننا نعرف. كثير من المشتركين النشيطين يشاركون داخليا بخيال الأطفال. إن تقدم القصة مقرر ومعروف: ففي الوقت الذي قد نمتلك فيه القوة فوق الصور فإننا نُسحر، ليست لدينا قوة معرفة اللاحق، إذا لم تكن القصة مألوفة لنا فسيكون ذلك مثيرا. اما إذا ما كانت القصة مألوفة لنا فإننا يمكن أن ندفع بالصور لكي تتراكض، نحن نعيد خلقها، ونتوقعها.

إن هذا يتلاشى حينما يحاول المعلم أن يأتي بالأطفال كي يمثلوا

القصة، فالطفل هنا، كمستمع، يشترك فيزيائيا بشكل سلبي، إنه يتوازن بواسطة المشاركة التخيلية الثقافية. إن استماع الطفل عبر المشاركة الفيزيائية السلبية هو لتمكينه من خلق الصور بصريا للسير مع القصة، إنها خبرة فردية مقدّرة، وكما هو الاستماع إلى القصة عبر الراديو، فإننا قد نسمع مع آخرين، ولكنه نشاط لعب مواز، و«تمثيل» القصة يقود العملية، أما العملية البصرية (رؤية القصة بصريا) فتغدو معطلة، وتتموضع التجربة الفردية في سياق اجتماعي، لحمل التحول من الفردي إلى الخبرة الاجتماعية معا، حيث يتحول المعلم إلى مخرج، يخبر التلاميذ ما الذي يجب أن يحدث لاحقا؛ المؤلف يبقى مسيطرا على السرد، أما التلاميذ فيصبحون دمى في هذه العملية. إن الانغلاق في السرد يجعل التوقع محدودا ومقوضا وهذا عكس تمكين التلاميذ وتقويتهم. الانتقال من قراءة القصة إلى تمثيلها يضع الصف في موقف وكأن القطار هو الذي يدفعهم. ويغدو الدرس فوضى لأن الأطفال يقومون بعمل أشياء كثيرة مختلفة.

– الدراما تساعدنا على استكشاف القصص وفهمها بصورة أبعد

إذا ما أردنا صهر القصة والدراما معا لتصبحا أكثر إنتاجية، فعلينا إهمال السرد، وتحويل انتباهنا إلى اللحظات المفتاحية، والشخصيات المفتاحية والمعضلات التي تعيشها، وعودة إلى التشبيه (القطار) فنحن نتوقف في محطات رحلة السرد، و نستكشف ما يحيط بنا. قد نلتقي بأناس من القصة، وربما بأناس ليسوا موجودين في القصة الأصلية ولكنهم مشتركون فيها. نتخذ قرارات حول ما نحتاج إلى عمله في القصة لأننا بوجودنا في خارج القصة سنتنحى الآن جانبا. عادة ما تعاد لنا القصص باستخدام الفعل الماضي، فهي (يد ثانية) الماضي المستعمل من قبل السارد، في الدراما نحن نتعامل مع الآن، مع الفعل الحاضر.

يشعر الأطفال، أنهم في الداخل مع معلمهم! فمعلمنا قد يكون أناسا كثيرين، هو يحيا، ويتنفس المصادر لنا كي نستعملها. الأطفال يمكنهم أن يتحرروا من أجل استكشاف ما الذي يفهمونه من أفكار المؤلف الأصلي، يمكنهم أن يلمعوا ويزينوا ويوسعوا ويخلقوا قصة جديدة، يمكنهم أن يستجيبوا بنشاط للشخصيات، يمكنهم أن يتحكموا بالقصة لحل إي صراع في أفكارهم، يصبحون مجتمعا قويا، يمتلكون القدرة على حل المشكلات.

إن هذه التجربة تغيّر المعلمين تدريجيا فبدلا من أن يكونوا مجرد رواة (ساردين) للقصص يصبحون قادة لبعثة في رحلات الاستكشاف السردي. وهنا فإن للتلاميذ في الصف الفرصة لتعميق خبرتهم في القصة من خلال المشاركة النشطة في الدراما وفي القصة أيضا.

تلخيص

- الدراما هي طريقة تعليم ويمكن تطبيقها عبر المنهاج.
- توظيف الدراما يأخذك إلى أبعد من نقل المعرفة وبناء المهارات، فهي تتضمن محاورة للمعنى واكتساب المعرفة، إن هذا يتحقق عبر المشاركة الفعالة في القصة.
- الدراما في التربية لها جذورها في لعب الدور الاجتماعي أو اللعب السيسودرامي.
- كما في لعب الدور الاجتماعي، ففي الدراما تستعمل الرموز، ويخلق السياق التخيلي ولعب الدور.
- الأطفال يأتون إلى الحضانة أو صفوف الاستقبال الأولى ولديهم المقدرة على أن يقوموا بجزء من الدراما.
- المعلمون يمكنهم أن يستعملوا هذه المهارات لأهداف تعلمية محددة عبر الخطو داخل العمل التخيلي للأطفال عن طريق استعمال استراتيجيات الدراما، وبالتحديد «المعلم في الدور».
- الدراما والشكل السردي يعملان معا بشكل جيد إذا ما كانت الدراما تقوم باستكشاف القصة بدلا من تمثيلها بشكل مجرد.

ترجمة وتصرف: وسيم كردي

مركز القطان

المصدر:

Nigel and Francis Prendiville (2000) Drama and traditional story for the early years. Routledge Falmer - London.